

مقدمة

في مسجد مولانا الحسين رضى الله عنه . في شهر رجب من سنة ١٣٨٧ هـ ، احتفلت جمهورية مصر العربية عن طريق التلفزيون - في برنامج نور على نور - بليلة الإسراء والمعراج ، مشاركة بذلك العالم الإسلامى كله ، ومعبرة بهذا الوضع عن الأهمية الكبرى التى لهذه الليلة المباركة .

وقد حضر الحفل كثير من كبار السادة المسئولين في مختلف الوزارات وفى الأزهر . وقد دعانى المشرفون على البرنامج - مشكورين - للحديث مع من دعى فى تلك الليلة المباركة . وانتهزتها فرصة لأقول رأى بصراحة ، فى نقطة من هذا الموضوع ، حيث أتيح إعلانها فى أوسع دائرة ممكنة من المستمعين فى المسجد ، ومن المشاهدين على الشاشة .

• • •

لقد كان المعراج مناجاة ، ووحياً ، ورؤية :
أكانت المناجاة مع جبريل عليه السلام ، والوحى من جبريل عليه السلام ، والرؤية لجبريل عليه السلام ؟
أم كانت المناجاة مع الله سبحانه وتعالى ، والوحى من الله تعالى ، والرؤية لله تعالى ؟

لقد قلت في حديثي :

إن محمداً ﷺ ، وصل إلى أفق لم يعد فيه مكان لجبريل ، وارتقى إلى مستوى من النور لم يكن لجبريل عليه السلام فيه مجال ، فكان محمد ﷺ في الحضرة الإلهية ، دون واسطة .

فناجى محمد عليه الصلاة والسلام ، ربه عز وجل .

وأوحى إليه ربه ما أوحى .

ورأى محمد ربه .

(ما كذب القواد ما رأى) .

واستندت إلى ما جاء في حديث البخارى :

ثم دنا الجبار رب العزة فتلى ، فكان منه قاب قوسين أو أدنى .

وقلت : إن محمداً ﷺ ، في هذا الأفق كان وحده وكان جبريل

عليه السلام في أفق أقل ، فكانت المناجاة مع الله .

وكان الوحي من الله .

وكانت الرؤية لله تعالى .

ولم يستغرق حديثي أكثر من ربع ساعة ، قلت فيها - في لحات

خاطفة - كل ما كنت أريد أن أقول ، في الموضوع عامة وفي هذه النقطة

خاصة .

ثم نزلت من على المنصة ، وكأني قد تخففت من حمل ، وكأني قد

برئت من مسئولية .

وظننت أن الأمر قد انتهى ، وأنتى قد أسمت ، وأن الكلمة ستأخذ
بجراها ، وأن الله سيفتح لها آذاناً ، ويشرح لها صدوراً .

* * *

وما إن انقضى الحفل ، حتى التفّ حولي كثير من ذوى البصائر
الرشيدة ، يرجون أن أكتب في الموضوع ، أفضل ما أجملت وأستفيض
فيما كان أشبه بلمحات ، وأوضح هذا الذي وقع من أنفسهم موقع
الاستحسان والغربة في آن واحد ، من أن محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، وصل إلى
أفق كان في الحضرة الإلهية وحده دون حجاب .

وعددت هذا منهم مجاملة ، قابلتها بمثلها ، وشكرت لهم حسن
ظنهم .

ورجوت من الله التوفيق لى ولهم .

ولكن الحديث عن الموضوع استمر ، وكثر طلب الناس هنا وهناك
للكتابة في هذا الموضوع في صورة أوسع وفي زواياه المتعددة .

وحفزنى هذا إلى العودة إلى الموضوع من جديد .

لقد عدت إلى القرآن الكريم وتفسيره في مختلف التفاسير ، وخصوصاً
تفسير الإمام ابن كثير في موضوع الإسراء والمعراج ، وكذلك تفسير
الإمام الألوسى ، وحاشية الإمام الصاوى ، وإلى صحيح الإمام
البخارى ، وشرح الإمام ابن حجر له ، في مختلف الأمكنة التي تحدث
فيها عن الإسراء والمعراج .

وإلى صحيح الإمام مسلم ، وشرح الإمام النووي له .
وإلى الخصائص الكبرى للإمام السيوطي .
وإلى الشفاء للقاضي عياض .
وإلى كتب السيرة . وخصوصاً سيرة ابن هشام وتعليق السهيلي عليها .
ولقد نعمت بفترة من البحث أحمد الله عليها .

* * *

وما من شك في أنني لم أخترع رأياً ولم أبتدع فكرة ، ولم أجيء بما لم يكن موجوداً ، وكل ما في الموضوع أنني حاولت في هذه النقطة - التي كانت مشارسؤال وبحث - أن أبرز ما حاول البعض المرور عليه مروراً عابراً ، وأن أظهر ما لم يكن البعض يقف عنده ، وأن أعلن عما كان موجزاً لا يكاد يبين عنه بعض الكاتبين .
لست إذن بدعاً في الرأي ، ولا مبتدعاً فيه .

* * *

على أن هذه النقطة التي كانت مثار بحث ليست أبرز شيء في هذا الكتاب ، بل إنها لم تستغرق منه مكاناً كبيراً ، لقد أردت على الخصوص أن أبين أن قصة الإسراء والمعراج إنما تمثل :

- ١ - منهج حياة في العقيدة .
 - ٢ - منهج حياة في الأخلاق .
- إنها منهج الحياة الروحية في حياة المسلم .

وهذه النقطة بالذات هي التي استفضت فيها ، والتي أرجو أن أكون قد صاحبني فيها التوفيق .

* * *

إن بعض المسلمين يحتفلون بهذا الحادث ، على أنه حدث تاريخي مجيد ، ثم يبرون به على أنه معجزة وقعت لسيدنا محمد ﷺ ، فأظهرت ما له من فضل ، وبيّنت ما له من مكانة ، فإذا ما شرحوها من هذا الجانب : فكأنهم قد أوفوا الموضوع حقه . وقالوا فيه ما يمكن أن يقال .

ولكن أمر الإسراء والمعراج : أوسع وأعم من أن يكون حدثاً تاريخياً ، انقضى وانتهى . وذلك أنه رسم لحياة المسلم ، وفيه من العظات والعبر ما لا يكاد يحيط به الإنسان . وسنحاول بتوفيق الله أن نكتب عنه في هذه الجوانب والزوايا .

والله نرجو أن تمتد لهذا الكتاب الأعين ، وتفتح له الآذان ، وأن يشرح الله له الصدور ، وأن يهدي له ، وأن يهدي به ، إنه سبحانه قريب مجيب .

وما توفيق إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .